الشكوى.. ألفاظها وأساليبها في التعبير القرآني

أ.د.حسن منديل حسن ميسم عدنان عبد الرسول
جامعة بغداد - كلية التربية للبنات - قسم اللغة العربية

الخلاصة
يتناول البحث موضوعا جديدا بكراً لم تفرد له دراسة من قبل على الرغم من أهميته في النصّ القرآني ، ذلك أن الغالب في معاني الشكوى في النصّ القرآني: الشكوى غير الصريحة. والتعبير عنها يرد في سياقات مختلفة يتداخل مع الأساليب الأخرى وخصوصاً أسلوب النداء وملحقاته كالندبة والاستغاثة والتعجب وغيرها. فضلا عن أن إيحاء الألفاظ بالشكوى مرتبط بأحوال الشاكي وانفعالاته النفسية ومقام الشكوى. سيتناول البحث ذلك في مبحثين، الأول يتناول أهم الألفاظ المعبرة عن الشكوى وهي: أفٌّ، أواه، بثي، يجأرون، يصطرخون. والثاني يتناول الأساليب وسياقات الشكوى. ثم الخاتمة.

The Complaint's Terms and Methods in Statement of Holy Quran

Prof. Dr. Hassan Mindeel Hassan Meissem Adnan Abdul-Rasool
University of Baghdad - College of Education for Women - Arabic Language Dept.

Abstract
This research deals with a unique and innovative topic, that is the study of complaint in the Quranic text. Despite its importance, it has never been studied before, because most of the complaint 's meanings in the Quranic text is: the in explicit complaint. The mentioned complaint's expressions in different contexts overlap with other purposes, in particular call method and its peripherals like mourn , ask for help , exclamation and others.

Moreover, expressions that reveal complaint are related to the complainant's emotional and psychological status, and the complaint's context.

This research deals with the topic into two sections: The first deals with the important expression of complaint such as: iff, ouah, mooing, crying. The second deals with the complaint's methods and contexts .

Finally , the study ends with the conclusion.

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد

<u>دلالة الشكوى لغة واصطلاحا:</u>

تذكر المعجمات اللغوية أنّ أصل مادة (شكو): " فتح الشكوة وإظهار ما فيها. وهي سقاء صغير يُجعل فيه الماء، وكأنه في الأصل استعارة، كقولهم بثثت له ما في وعائي ولفظت ما في جرابي" [١].

والفعل منه شكا، تقول: شكوت فلاناً أَشْكوه، شَكّوى وشِكايَة، وشَكِيَّة وشَكاةً: إذا أخبرت عنه بسوء فعله بك، وهو مشكو ومشكيّ، والاسم الشكوى والاشْتِكاء اظْهارُ ما بِكَ مِن مَكروهٍ أو مرض أو نحوه [٢]. وذكر ابن سيده (ت٤٥٨هـ) أن "الشَّكْو والشَّكْوى والشكاة، والشكاء، كله: المرض"[٣].

أما في الاصطلاح فلم يذكر للشكوى تعريف، وان استعملت على المعنى اللغوي كما جاءت في مفردات ألفاظ القرآن تعريفها بإظهار البث، وهو إظهار ما في القلب من الغم و الهم [٤].

وجاء في غريب الحديث لابن الأثير: الشكوى "أن تخبر عن مكروه أصابك"[٥].

وجاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة العربية، أن الشكوى: هي إظهار التضرر[٦]. وهذه هي الدلالة التي وردت فيها الشكوى في الخطاب القرآني وهي إظهار التضرر من جراء مرض أو فقر أو حزن أو وجع من شيء تنوء به النفس الإنسانية فضلا عن التقصير في العبادة. فقد ورد فعل الشكوى صريحاً في الخطاب القرآني في موضوعين هما:

الأول: في قوله تعالى يحكي شكوى النبي يعقوب ؏: **(قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ)**(يوسف ٨٦).

والثاني: قوله تعالى: حكاية عن المحاورة التي دارت بين المرأة[٧] – التي ظاهرها زوجها- والرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: **(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ)** (المجادلة ١).

وقد فرّق المفسرون بين (الشكاية) و(الاشتكاء): و " الاشتكاء إظهار ما بالإنسان من مكروه، والشكاية إظهار ما يصنعه به غيره من المكروه"[٨].

ويرى الطاهر بن عاشور انّ " الاشتكاء مبالغة في الشكوى وهي ذكر ما آذاه، يقال: شكى وتشكى واشتكى وأكثرها مبالغة: اشتكى والأكثر ان تكون الشكاية لقصد طلب إزالة الضر الذي يشتكي منه بحكم أو نصر أو إشارة بحيلة خلاص"[٩].

وعلى ضوء ذلك يكون هناك نوعان من الشكوى في الخطاب القرآني.

الأول: شكوى الإفصاح عما في النفس من ضرر أو مكروه. كالحزن، والغم، والخوف، والحسرة وغير ذلك.

الثاني: شكوى التظلم، أي إبداء المظلمة إلى جهة ما لرفع الضرر الذي يلحق الشاكي من الغير.

وعلى ضوء هذين النوعين من الشكوى تصنف سائر النصوص القرآنية الدالة على الشكوى في الخطاب القرآني.

المبحث الأول:

الألفاظ الدالة على الشكوى في النصّ القرآني:

أُفٍّ:

اسم فعل مضارع بمعنى اتضجر. لكنها تستعمل في سياق الشكوى.

ولفظة (أُفٍّ) في الخطاب القرآني دالة على الشكوى في ثلاثة مواضع، جاءت في جميعها بصيغة واحدة من غير تصريف هي (أُفّ)، وذلك في:

قوله تعالى في سياق النهي عن عقوق الوالدين: (**فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ**) (الاسراء٢٣).

وقوله تعالى: (**وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا**) (الاحقاف ١٧).

وقوله تعالى يحكي شكوى ابراهيم – υ من قومه: (**أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**) (الانبياء ٦٧).

قال الخليل (ت١٧٠ هـ) "الأفُّ، والأفَفُ من التأفيف - تقول قد أفّفتُ فلاناً، إذا قلت له: افٍّ، وفيه ثلاثُ لغات: الكسرُ والضمُّ والفتح بلا تنوين، وأحْسَنُهُ الكسْر، فإذا نوّنت فارفع، تقول: أُفٌّ، لأنه يصير اسماً بمنزلة قولك: وَيْلٌ له. والعرب تقول: أفَّةٌ له مؤنثة مرفوعة، لايقال ذلك إلا بالتنوين، إمّا مرفوعاً، وإمّا منصوباً، والنّصب على طلب الفعل كأنك تقول افففتُ أفَاً. وتقول: الأفُ و التُفُّ، الأفُّ: وسَخَ الإذن و التُفُّ: وسَخَ الأظافر"[١٠] وجاء في المخصص "أُفٍّ يئِفُّ ويَؤفُّ أفّاً – إذا تأفّفَ من كربٍ أو ضَجَرٍ"[١١].

يتبين مما تقدم أنّ لفظة (أُفٍّ) هي فعل متصرف. وليس كما يرى سيبويه أنها لفظة لافعل لها، وإن مثلُها ومَثلُ افّف مَثلُ سَبِّحُ وهَلّل، إذا قال: لا إلَهَ إلاّ اللّهُ.ودعدع إذ قال دَعْ [١٢].

وذكر الراغب (ت ٥٠٢ هـ) في مفرداته: أن "أصل الأُفّ كل مستقذرٍ من وسخ وقلامةِ ظُفُر وما يجري مجراها، ويقال ذلك لكل مستخفٍ استقذاراً له نحو (أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ).وقد أففتُ لكذا إذا قُلت ذلك استقذاراً له ومنه قِيلَ للضجر من استقذار شيء أفَفَ فُلان"[١٣].

ويرى صاحب الكشاف أن لفظة (أُفٍّ) هي "صوتٌ إذا صُوِّتَ به علم أن صاحبه متضجرٌ" [١٤] وتبعه أنها أصوات الرضي (ت ٦٨٦ هـ) في شرحه على الكافية فقد ذكر أنها أصوات و"لم تصر مصادر ولا أسماء أفعال" [١٥] وذهب بعضهم إلى أنها اسم فعل مضارع بمعنى أتضجر[١٦].

في حين يرى د. إبراهيم السامرائي أنها ليست باسم فعل متضمن معنى الفعل، وإنما هي تعبير عن حالة نفسية عاطفية مثالها مثال (آه) عند التوجع والتشكي. وان المعبرين عن التضجر لا يستعملون هذه اللفظة وإنما شيء آخر. ويقول "ان معنى التضجر معنى أنساني، ولكن المعربين لا يعربون عنه باستعمال هذه المادة بل يذهبون إلى شيء آخر"[١٧].

وذكر أن (أف) و (أوه) هي من الكلم القديم، وإننا لا نجدهما فيما ترك لنا المتقدمون من نصوص، فضلاً عن أنها في قوله تعالى: (ولا تَـقُـلْ لَهُمَا أُفٍّ) لا تدخل في بناء جملة وإنما هي قول يراد به الأعراب عن الضجر[١٨].

ومهما يكن من أمر هذه المفردة سواء كانت صوتاً أو اسماً أو فعلاً، فهي "مثل يضرب للمنع من كل مكروه وأذية وإن خَفَّ وقلّ "[١٩] وإنها كما يذكر الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) تجري "مجرى قولهم: فلان لا يملك نقيراً ولا قطميرا[*] في انه بحسب العرف يدل على انه لا يملك شيئاً".[٢٠] وان المراد "من هذا الكلام المبالغة في تعظيم الوالدين بدليل قوله (وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا..) فكانت دلالة المنع من التأفيف على المنع من الضرب من باب القياس بالأدنى على الأعلى"[٢١].

نخلص مما تقدم إن هذه المفردة قد أغنت بصيغتها (أُفٍّ) من أخصر طريق وأيسره عن نص رسالة يحاول الشاكي من خلالها التعبير عن حالة انفعالية تجاه المرسل إليه وإعلامه بأنه يستكرهه أو يستثقله أو يستقذره. وهي بذلك نوع من شكوى التنفيس، وهي شكوى مذمومة فقد نهانا سبحانه وتعالى عن قولها لاسيّما للوالدين، وكان المقصود من عدم التلفظ بها هو النهي عن الأذى الذي يكون اقله الأذى باللسان بأوجز كلمة فهذه المفردة غير دالة على أكثر من حصول الضجر لقائلها من دون شتم أو ذم.

بدليل انه عطف على نهيها بالنهي عن الزجر بالكلام في قوله تعالى(وَلَا تَنْهَرْهُمَا). وأمر بإكرام القول لهما[٢٢]. فكان التعبير بهذه المفردة القرآنية هو رمزٌ أو إشارة لمنع ما هو اكبر وأعظم من ذلك فهي لفظة إشارية تحكي واقع الشاكي بصدق ويقين.

أَوَّاهٌ:

ونظير أفّ من المفردات القرآنية الدالة على الشكوى لفظة (أَوَّاهٌ)، التي وردت في القرآن الكريم مرتين وصفاً خاصاً بنبي الله إبراهيم الخليل υوذلك في قوله تعالى: **(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ)** (التوبة ١١٤) وفي قوله تعالى:**(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ)** (هود ٧٥).

و (أَوَّاهٌ) لغة: لفظة تقال عند الشكاية والتوجع [٢٣]وذكر الخليل أن (أَوَّاهٌ) من (الآه) وهي "حكاية المتأوه في صوته، وقد يفعله الإنسان من التوجع... وأَوَّه فلان وآهَّةَ، إذا توجع فقال: آه. أو قال هاه عند التوجع، فأخرج نَفَسَه بهذا الصوت ليتفرَّج عنه ما به " [٢٤].

وذكر أهل اللغة أن فيها لغات كثيرة فيقال "آه من كذا بالمدِّ وكسر الهاء لالتقاء الساكنين كلمة تقال عند التوجع، وقد تقال عند الإشفاق وَأَوْهِ بسكون الواو وبالكسر كذلك، وقد تشدد الواو وتفتح وتُسكنَّ الهاء وقد تحذف الهاء فتكسرُ الواو وتأوَّه مثل تَوَجَّع وزناً ومعنى"[٢٥].

إذاً فالمتأوه هو من قال آه عند التوجع أو التحزن. وقد أدرج النحاة هذه اللفظة في باب اسم الفعل، إلا أن الدكتور إبراهيم السامرائي يرى أنها ليست بإسم فعل كما قال النحاة القدامى. إنما هي صوت يعبر به عن حالة نفسية وعاطفية خاصة من ألم أو حزن ونحو ذلك. إذ يقول: "(آه) وجملة أخرى من الكلمات هي في حقيقة الأمر أصوات يطلقها للإعراب عن حالة عاطفية خاصة من ألم وخوف ودهشة ونحو ذلك.

وقد وضع لها النحاة معانٍ فعلية وأدرجوها في باب اسم الفعل، وهذه نادرة الحضور في العربية المعاصرة، وقد يأتي شيء منها في معرض القصص" .[٢٦] ونحن إذ نتفق مع الدكتور إبراهيم السامرائي بأن لفظة (آه) هي تعبير عن حالة نفسية خاصة إلا إننا لسنا معهُ في أنها من الألفاظ النادرة الاستعمال في العربية المعاصرة، ذلك لأننا كثيراً ما نستعملها عند التوجع والتألم من شيء ما. وقد تبدل خاءً في العربية الدارجة فتصبح (آخ) وجاء في المخصص "وأخٌ كلمة تقال عند التأوُّه"[٢٧].

وفي الأسلوب القرآني الكريم جاءت هذه المفردة مرتين صفة لنبي الله إبراهيمυ وقد اقترنت في كلا الموضعين بلفظة (الحليم). وذكر المفسرون في تفسيرها أقوالاً عدة منها[٢٨] الذي يكثر التأوه فقد كان إبراهيم υ يكثر من قول: أوه من النار. وقيل: إن المراد بها الدعاء، وقيل :المؤمن التواب، وقيل: المتضرع إلى الله تعالى، وقيل الرحيم.

ويرى الراغب الأصفهاني أن هذه المعاني ترجع إلى أصل واحد وهو إظهار الحزن أو الخشية لله تعالى[٢٩]فأن "كل كلام يدل على حزن يقال له التأوه ويعبر بالأوه". [٣٠]

ويذكر الطاهر بن عاشور إن المراد بهذه اللفظة في الآيتين أعلاه هو الكناية عن رقة القلب والرأفة، أو الكناية عن شدة اهتمامه بهموم الناس فيكثر من قول: أوه. والقرينة على هذه الكناية أقترنها بلفظة (حليم)[٣١].

وهناك ملحظ أسلوبي نجده في اقتران لفظة (أَوَّاهٌ) بـ (لحَلِيمٌ). هو تقديم وتأخير لفظة (أَوَّاهٌ) على (حَلِيمٌ)، ففي الآية الأولى قدّمها على (حَلِيمٌ) وفي الآية الثانية تأخرت عليها.

والتقديم والتأخير يعدُّ متغيراً أسلوبياً في اللغة عنى به علماء اللغة قديماً وحديثاً لأهميته في إفادة المعاني. إذ يأتي لإغراض فنية عدة منها المناسبة بين المقدم والمؤخر والسياق الذي ترد فيه اللفظة، اذ يعد التناسب المعنوي مقياساً "يعيننا على فهم الحكمة من التغيير في الأسلوب بين الآية وشبيهتها، ويجعل فكرة مجرد التنوع في التعبير والتنقل من معنى إلى آخر أقل وجاهة" [٣٢].

فضلاً عن المناسبة المعنوية، فقد يكون التقديم والتأخير لغرض الموافقة الصوتية لفواصل الآية الكريمة.

ولعل الأسلوب القرآني قدّم (أَوَّاهٌ) على (حَلِيمٌ) في سورة التوبة لمناسبة المقام، إذ كان الحديث في هذا الموضع عن إشراك أبي إبراهيم وعدم إيمانه بالله الواحد الأحد. لذلك كان النبي يعتصر ألماً ويتوجع حزناً لذلك الأمر، ولفرط حبه لأبيه وخشيته عليه من غضب الله واعد أباه بالاستغفار، إلا أن الله تعالى نهاه عن الاستغفار ومات أبوه وهو مشرك.

يقول الزمخشري: "(لأواه) فعّال من أوه... وهو الذي يكثر التأوه. ومعناه أنه لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على أبيه الكافر ويستغفر له"[٣٣].والذي يلحظ في هذا المقام أن اللفظة جاءت مؤكدة بالصيغة وبلام التوكيد. في حين أنها في الموضع الثاني جاءت متأخرة عن قوله (حَلِيمٌ) وكان التأكيد بالام للفظة (حَلِيمٌ)، ولعل السبب في ذلك هو لمناسبة سياق الحال أيضاً، فلما كان السياق يتحدث عن مجادلة إبراهيم للملائكة المرسلين لتعذيب قوم لوط. قدّم (الحَلِيمٌ) لبيان كون المجادل يتصف برجاحة العقل، والتصبر على الإساءة والأذى وعدم التسرع، فناسب ذلك مطلب إبراهيم υ (المجادلة) في تأخير العذاب عن قوم لوط.

والقصة معروفة في سورة هود. ويذكر أحد المفسرين أن "العلة في الجدال انه حليم لا يُعجِّل بالعقوبة، وأَوَّاهٌ أيَ: يتأوه من القلب، والتأوه رقة في القلب، وان كان التأوه من الأعلى فهذا يعني الخوف من إلاّ يكون قد أدى حق الله تعالى، وإن كان التأوه للأقل فهو رحمة ورأفة. ولذلك طلب - إبراهيم υ من الله تعالى تأجيل العذاب لقوم لوط لعلهم يؤمنون، وتأوهه هنا لله تعالى وعلى هؤلاء الجهلة بما ينتظرهم من عذاب اليم" [٣٤] فصفة (الحليم) و (أَوَّاهٌ) و (المنيب) صفات خاصة بالنبي إبراهيم υ فهو "غير عجول على كل من أساء إليه، أو كثير الاحتمال ممن آذاه، صفوح عمن عصاه (أَوَّاهٌ) كثير التأوه من خوف الله، (مُنِيبٌ) تائباً إلى الله وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة. فبين أن ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء ان يرفع عنهم العذاب" [٣٥].

نخلص مما تقدم أن المفردة القرآنية (أَوَّاهٌ) دلت على معنى الشكوى بأصل وضعها اللغوي وقد وردت بالدلالة نفسها في التعبير القرآني الكريم. فضلاً عن أنها جاءت بصيغة تؤكد هذا المعنى، فقد جاءت "بالمد والتشديد لتطويل الصوت بالشكاية" [٣٦]. ولذلك أثره في بيان معنى التوجع والتأسف وتقويته لدى السامع بما يلائم حالة الشاكي. وتعد هذه المفردة من شكوى الإفصاح والتنفيس مثلها مثل (أفٍّ)، إلا أنها شكوى محمودة، اذ جاءت في بيان صفة من صفات النبي إبراهيم υ.

بثّ:

ومن المفردات القرآنية التي اختارها الأسلوب القرآني للدلالة على الشكوى لفظة (بَثِّي) وذلك في شكوى النبي يعقوب υ يحكيها قوله تعالى: **(إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)** (يوسف ٨٦).

والبثُّ لغة هو النشر والتفريق والإظهار[٣٧]. وجاء في اللسان أن " البثَّ: الحزن والغم، الذي تفضي به إلى صاحبك... وقال البثُ في الأصل شدة الحزن والمرض الشديد كأنه من شدته يبثه صاحبه"[٣٨].

وذكر الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) أن "أصل البَثّ التفريق وإثارةُ الشيء كبثِّ الريح التراب، وبثّ النفس ما انطوت عليه من الغم والسر، يقال بثثته فأنبث". [٣٩]

يتبين من ذلك أن اللفظة دلت على عموم الإظهار في أصلها اللغوي، ثم قُصرت على إظهار الحزن والغم.

وقد وردت هذه اللفظة بدلالتها الأصلية وهي النشر والتفريق والإظهار في تسعة مواضع من القرآن الكريم. وجاءت دالة على (إظهار الحزن والهم) وهو من مصاديق معنى الشكوى الاصطلاحي (إظهار التضرر) في موضع واحد وهو شكوى النبي يعقوب υ المذكورة آنفاً.

وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن المراد (بالبث): "أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه، فيبثَّه إلى الناس أي ينشره"[٤٠] وقيل هو أشد الحزن [٤١].

وذكر القرطبي (ت ٦٧١ هـ) أن " حقيقة البثّ في اللغة ما يرد على الإنسان من الأشياء المهلكة التي لا يتهيأ له أن يخفيها، وهو من بثثته أي فرقته، فسُميت المصيبة بَثّاً مجازاً [٤٢]. والى مثل ذلك ذهب صاحب تفسير روح المعاني[٤٣].

يتضح مما تقدم ان (البث) من الالفاظ المجازية التي استعيرت للأمور المعنوية والنفسية. والذي يلفت الانتباه من التأمل في نص الشكوى، ان لفظة (بَثِّي)جاءت وقد عطف عليها لفظة (حُزْنِي)، فكيف تفسر لفظة (بَثِّي) بالحزن وقد أعقبتها لفظة (الحزن) ؟ !

ولطاهر بن عاشور رأي يبين من خلاله الفرق بين اللفظتين، إذ يقول: "والبَثّ: الهَمّ الشديد. وهو التفكير في الشيء المُسِيء. والحزن: الأسف على فائت.

فبين الهم والحزن العموم والخصوص الوجهي. وقد اجتمعا ليعقوب υ لأنه كان مهتماً بالتفكير في مصير يوسف υ وما يعترضه من الكرب في غربته وكان أسفا على فراقه" [٤٤].

والذي يبدو أن ما ذهب إليه الطاهر بن عاشور بعيدٌ عن الصحة، ذلك لان قوله (البث) هو التفكير بالهم هو خلاف ما جاء من معنى في أصل اللغة واستعمالها اللغوي، الذي هو الإظهار والتفريق والنشر.

فالبث النفسي هو إعلانٌ لما يعتري النفس وما يدور في خلدها من هموم وإحزان. وليس هو التفكير بالهموم.ولعل الصواب ما بيّنَه أبو هلال العسكري (ت٣٩٥ هـ) من فرقٍ بين اللفظتين اذ يقول: "إن قولنا الحزن يفيد غلظ الهم وقولنا البث يفيد انه ينبث ولاينكتم من قولك ابثثت ما عندي وبثثتهُ إذا أعلمته إياه. وأصل الكلمة كثرة التفريق ومنه قوله تعالى:**(كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ)** (القارعة ٤) وقال تعالى **:(إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ)** (يوسف ٨٦).فعطف البَثّ على الحزن لما بينهما من الفرق في المعنى". [٤٥]

ومما يؤيد أن (البث) هو لإظهار الهموم والإحزان ونشرها، و (الحزن) هو الهم والأسف الباطن. ما ذكره الطريحي عند تفسيره لهذه الآية. إذ قال: " البثُ ما أبداه الإنسان ، والحزن ما أخفاه، لان الحزن مستكن في القلب، والبَثّ ما نبثَّ وظهر، فالبَث غير الحزن"[٤٦]

ومما يؤيد كون الحزن شعوراً مستكناً في داخل الانسان، ما ذكره أحد الباحثين المعاصرين من أن البعض من علماء النفس لا يعدّ الحزن من الانفعالات النفسية، لان الانفعال النفسي هو حافز لزيادة نشاط العمليات البدنية، فالحب والغضب والخوف انفعالات فيها تحفيز لنشاط العمليات البدنية، بينما نجد في الحزن مظاهر التثبيط مثل الشعور باليأس والقنوط وقلة الكلام. فضلاً عن أن للحزن علامات تدل عليه لكونه مستكناً في داخل الإنسان. له علامات وقد ذكرها القرآن الكريم، وهي فيضان الدمع واحتقان الوجه، والشكوى ورفع الصوت وغيرها من العلامات [٤٧].

يتضح مما تقدم أن (البث) غير (الحزن). (فالبَثّ) يكون للإظهاروالإفصاح عن الهموم والإحزان . في حين يكون (الحزن) للمشاعر المستكنة داخل الإنسان، فيكون المراد بهما، أن ما ظهر وما تستر من مشاعر الحزن والأسف يظهره النبي يعقوب لله سبحانه وتعالى الذي هو يعلم ما تَسرّ الأنفسَ وما تعلن.

نجد في ذلك ملمحاً أسلوبياً يبين دقة التعبير القرآني في استعماله للألفاظ بما يفي أو يخدم المعنى المطلوب بأقل العبارات وأوجزها.

فقد جيء بلفظ (البث) للدلالة على الشكوى الناطقة، التي يعبر عنها بالكلام وجيء بلفظ (الحزن) للدلالة على الشكوى الصامتة، التي يعبر عنها بعبوس الوجه، أو احتقانه، أو البكاء أحياناً، ولعل ابيضاض عين النبي يعقوب υ هو مظهر أو علامة على الحزن الشديد الذي يكنه في داخله على ولده المفقود. وذلك في قوله تعالى: **(وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ**

الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ)(يوسف ٨٤) فضلاً عن مجيء لفظة (كَظِيمٌ) مع (الحزن) في النص السالف الذكر مما يؤكد دلالة الحزن على الشعور الباطن والمستكن. ذلك لان الكظم نقيض الشكوى، ومما يؤيد ذلك، قول القرطبي عند تفسيره لقوله (فَهُوَ كَظِيمٌ) "أي مكظوم مملوء من الحزن ممسكٌ عليه لا يبثه، ومنه كظم الغيض وهو إخفاؤه، فالمكظوم المسدود عليه طريق حُزنه"[٤٨].

كما نلحظ ملمحاً أسلوبياً آخر يتضح من تقديم (البث) على (الحزن). ومجيء لفظة الحزن ملاصقة لقوله (إِلَى اللَّهِ). ذلك لان الشكوى الظاهرة الناطقة يمكن أن تبث وتظهر إلى أكثر من جهة أو رتبة، في حين أن (الحزن) وهي الشكوى الصامتة لا تكون ظاهرة ألا لله سبحانه وتعالى فهو علاّم الغيوب، خالق النفس البشرية والعارف بأحوالها.

نخلص مما تقدم إلى دقة الاختيار للألفاظ في الاستعمال القرآني. فضلاً عن بيان حقيقة راسخة للعيان ومفادها عدم وجود الترادف التام في المعنى بين الألفاظ.

جأر:

وردت لفظة (تَجْأَرُونَ) في القرآن دالة على الشكوى، مرتين بصيغة الجمع المخاطب ومرة بصيغة الجمع الغائب (يَجْأَرُونَ) وذلك في قوله تعالى يحكي حال الإنسان عندما يصيبه ضرُ: **(ثُمَ إذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ)**(النحل ٥٣) وقوله تعالى:**(حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ)** (المؤمنون ٦٤). وينهاهم الله سبحانه وتعالى عن الجأر في عالم الغيب في قوله تعالى:**(لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ)**(المؤمنون٦٥).

فالجأر لغة: صوت البقرة المرتفع. ثم استعير للإنسان عندما يصيبه أذى أو مكروه.

قال الخليل "جَأرتِ البقَرةُ جُؤاراً: رَفَعتْ صَوْتَها. وجأر القومُ إلى الله جُؤاراً، وهو إن يرفعوا أصواتهم إلى الله متضرعين". [٤٩]

وفي الصحاح: "الجُؤار مثل الخوار. يقال: جأر الثور يجأرُ أي صاح". [٥٠]

وذكر المفسرون أن المراد بقوله (فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ) "أي: فلا تتضرعون عند الشدة إلا إليه ولا تستغيثون إلاّ به" [٥١].

ويلحظ من سياق الاية الأولى أن لفظة (تَجْأَرُونَ) جاءت مع لفظ (المس). فقد "استعير المس للحصول الخفيف للاشارة الى ضيق صبر الانسان بحيث إنه يجأر الى الله بحصول أدنى شيء من الضر له"[٥٢].

وفي ذلك " بيان لجحود الانسان وكفرانه بفضل الله عليه، ومكره بنعمه... فهو اذا اصابته نعمة، بطر، وكفر، وأعرض عن الله، واذا مسّه ضرّ جأر الى الله، ورفع صوته شاكياً متوجعاً. وعاهد الله لئن كشف الضر عنه ليؤمنن بالله... فإذا كشف الله الضر عنه نسي ما كان يدعو إليه من قبل" . [٥٣]

يلحظ من سياق الآيات أن (الجأر) جاء في سياق العذاب، وجاء في المواضع الثلاثة بصيغة الفعل المضارع، لبيان حالهم المتجددة في شكواهم واستغاثتهم بالله تعالى خصوصاً أذا ما أصابهم أدنى ضُرٍ أو سوء.

فضلاً عن كونها شكوى دنيوية تصدر من الإنسان في حياته الدنيا، وان الله سبحانه وتعالى ينهاهم عن ذلك في الحياة الآخرة.

نخلص من ذلك إلى أن الأسلوب القرآني استطاع من خلال اختياره للفظة (تَجْأَرُونَ) إن يصوّر لنا كيفية الشكوى لله والاستغاثة به إذ ما مَسَّ الإنسان ضرٌ، وكأن حال الشاكي كحال الدابة التي تصيح ويرتفع صوتها فجأة من غير أن تعي ما تفعله، فكذلك الإنسان يلجأ إلى ربّه بصورة لاشعورية رافعاً صوته بالشكوى والاستغاثة لينجيه من شدته وضيقه. إذ هو على يقين تام بأن لا أحد في الكون يستطيع أن يدفع عنه أدنى ضُرٍّ وكما يقول سيد قطب "وفطرتكم تلجأ إليه وحده ساعة العسرة" . [٥٤]

صرخ:

واغلب الظن أن (الصراخ) وصف خاص ببني البشر، فلا يكون إلاّ منهم وإليهم، وما الصرخة المعهودة من ابن آدم التي يطلقها لحظة مجيئه إلى الحياة الدنيا، ألا دليل على ذلك. فإذا ما تتبعنا الاستعمال اللغوي لهذه اللفظة في المعاجم، تبين أنها لا تطلق ألا مِنْ الإنسان وقد فسرت بالصيحة الشديدة[٥٥].

جاء في اللسان: "الصرخةُ: الصيحة الشديدة عند الفزع أو المصيبة، وقيل الصراخُ الصوت ما كان، صرخ يصرخ صُراخاً. ومن أمثالهم: كانت كَصَرخَةِ الحُبلى، للأمر يفجَؤك. والصارخ والصريخ: المستغيث... قال ابن الأثير: استصرخ الإنسان إذا أتاه الصارخ، وهو الصوت يعلمه بأمر حادث ليستعين به عليه، أو ينعى له ميتاً. واستصرخته أذا حملته على الصراخ... والصريخ: المغيث، والصريخ المستغيث أيضاً،من الأضداد... واصطرخ القوم وتصارخوا واستصرخوا: استغاثوا... ويقال: صرخ فلان يصرُخ صراخاً إذا استغاث فقال: واغوثاهُ! وصرختاه!" . [٥٦]

وقد وردت مادة (صرخ) في الخطاب القرآني خمس مرات بصيغ مختلفة: فقد جاءت بصيغتي (صَريخ) و (مُصرخ) للدلالة على المُغيثُ والمنقذ[٥٧] وذلك في قوله تعالى: **(وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۝ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ۝ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ)**(يس٤١–٤٣) فالمراد بقوله (فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ): "أي لامُغيث لهم... و (صَرِيخَ) بمعنى مُصرخ فعيل بمعنى فاعل"[٥٨].

وجاءت بصيغة (مصرخ) دالة على المغيث أيضاً في قوله تعالى يحكي حديث الشيطان مع أتباعه **(فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ)**(يس٢٢). والمراد(مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ) أي بمُغيثكم مما أنتم فيه من العذاب. (وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ) مما أنا فيه.[٥٩]

وفي حديث الشيطان "مبالغة في بيان عدم إصراخه إياهم وإيذانا بأنه أيضا مبتلى بمثل ما ابتلوا به. ومحتاج إلى الإصراخ فكيف من إصراخ الغير"(٦٠).

في حين جاءت مادة (صرخ) بدلالة الضد، وهي الشكوى وطلب الإغاثة، وذلك بصيغتين (يستصرخه) في قوله تعالى يحكي قصة موسى υ مع رجل من بني إسرائيل:**(فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ)**(القصص ١٨).

وصيغة (يَصْطَرِخُونَ) في قوله تعالى:**(وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ۝ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ)** (فاطر٣٦ –٣٧).

إذ يلحظ من سياق النص أعلاه أن الخطاب القرآني، استعمل اللفظ الأقوى للحدث الأشد والأعظم، فناسب مجيء لفظة (يَصْطَرِخُونَ) بصيغتها الصرفية الدالة على المبالغة وتكرار وقوع الفعل، فضلاً عن دلالتها المعنوية وهي الصيحة بشدة لمقام جهنم وعذابها الأليم.

يقول ابن الأثير (ت ٥٨٧هـ) في مبحث (قوة اللفظ لقوة المعنى) "اعلَمْ أن اللّفظ إذا كان على وزنٍ من الأوزانِ ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه فلابُدَّ من أن يتضَّمن من المعنى أكثر مما تضَّمنه أولاً، لأنَّ الألفاظ أدِلةٌ على المعاني، وأمثلة للابانة عنها، فإذا زيدَ في الألفاظ أوجبتَ القسمةُ زيادة المَعاني... وهذا النوع لا يستعمل إلا في مقام (المبالغة")(٦١).

لذلك "كان ارتفاع أصواتهم بالصراخ ومشاركتهم جميعاً فيه وتكرار ذلك منهم لا يكفي أن يعبر عنه بالفعل المجرد فيقال مثلاً (وَهُمْ يَصْرِخُونَ فِيهَا) فجاءت تاء الافتعال لتدل على المبالغة في إيقاع الحدث، وقد قصد لها أن تجاور الصاد المطبقة فتتحول بالمجاورة إلى التفخيم ليكون في تفخيمها فضل مبالغة في إيقاع الفعل" (٦٢).

وهذا ما يراه المفسرون أيضاً من أن "(يَصْطَرِخُونَ) مبالغة في (يَصْرَخُونَ) لأنه افتعال من الصراخ وهو الصياح بشدة وجهد. فالاصطراخ مبالغة فيه، أي يصيحون من شدة ما نابهم. وجملة (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا) بيان لجملة (يَصْطَرِخُونَ) يحسبون أن رفع الأصوات أقرب إلى علم الله بندائهم، ولإظهار عدم أطاقة ماهم فيه"(٦٣). فجاء الجواب على سؤالهم "بعد أن تمادوا وتطاولوا في بثِّ شكواهم يخبرهم الله سبحانه وتعالى بطريقة التوبيخ والتقريع أتطلبون المهلة منا وتستمهلون أولم نعمركم ونمهلكم أيها المسرفون المفرطون" (٦٤).

وعلى ضوء ما تقدم يتضح لنا الفرق في الاستعمال بين (يَصْطَرِخُونَ) و (تَجْأَرُونَ) إذ ناسب كل لفظِ المقام الذي قيل فيه. فأستعمل الخطاب القرآني اللفظ الأقوى للعذاب الأشد والابقى (يصطرخون) شكوى للمعذب بنار جهنم، واستعمل (يَجْأَرُونَ) شكوى للمعذب في الدنيا. فتبين لنا مما تقدم القصدية في الاختيار والدقة في الاستعمال للألفاظ في الأسلوب القرآني.

المبحث الثاني:

أساليب الشكوى في التعبير القرآني:

وردت التراكيب المعبرة عن الشكوى في النصّ القرآني بأساليب وأشكال متعددة. وبعد التأمل المستفيض في نصوص الشكوى القرآنية تبين إن جملة الشكوى تنقسم الى قسمين .

القسم الاول ،جملة قول الشكوى وما يتعلق بها (فعل الشكوى ، قائل الشكوى ، الجهة المرسلة إليها الشكوى)،والقسم الثاني ، جملة مقول الشكوى (نص الشكوى). وقد جاء كل قسم من هذين القسمين بأساليب وأشكال متعددة .

القسم الاول :(جملة قول الشكوى وما يتعلق بها)

فالقسم الاول يمكن حصره بخمسة أساليب وهي :

<u>الأسلوب الأول</u>:

يذكر الفعل المستعمل للشكوى (قال أو مرادفه) بعدها الشاكي (قائل الشكوى) ثم المشتكي إليه أو منه، وقد ورد هذا الأسلوب بشكلين:

<u>الشكل الأول:</u> يذكر اسم الشاكي في جملة القول ظاهراً وكذلك اسم المشتكي إليه أو المشتكي منه يذكر ظاهراً أيضا، كما في قوله تعالى: **(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ)** (الصف ٥).

فقد تشكى موسى υ من أذى قومه له، فذكر الفعل (قال)، والشاكي هو (موسى) والمشتكي منه وهو (قومه) ومن ثم ذكر نص الشكوى.

<u>الشكل الثاني:</u> يذكر فعل قول الشكوى، ويضمر قائل الشكوى فلا يذكر ظاهراً وإنما مضمراً متصلاً. ثم يذكر المشتكي إليه اسما ظاهراً. مثال ذلك قوله تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ)** (آل عمران ١٥٦).

فقد اضمر قائل الشكوى في هذا الموضوع في (قَالُوا) بينما صرح باسم المشتكي إليه ظاهراً وهو (لِإِخْوَانِهِمْ). ولعل السياق المتقدم للآية على جملة قول الشكوى كفيل ببيان قائل الشكوى.

الأسلوب الثاني:
وفي هذا النوع يتقدم ذكر قائل الشكوى على الفعل. وكذلك على المشتكي إليه. وذلك نحو قوله تعالى: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ)(الأنبياء ٨٣) فقد تقدم ذكر قائل الشكوى وهو النبي أيوب υ على الفعل (نادى) وعلى المشتكي إليه (ربه).

الأسلوب الثالث:
يحصل في هذا الأسلوب حذف لأحد عناصر جملة قول الشكوى، وهو عنصر المشتكي إليه، ويذكر فعل الشكوى، وكذلك قائلها ويكون القائل اسماً ظاهراً. وهذا الأسلوب خاص بشكوى حديث النفس أو شكوى الإفصاح عما في النفس من مشاعر الحزن والتضرر. مثال ذلك قوله تعالى: **(مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)** (البقرة ٢١٤).
إذا يلحظ من النص أن فعل قول الشكوى مذكور وهو (يقول) والشاكي ظاهراً وهو (الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ).من غير ذكر المشتكي إليه.
ونظير ذلك قوله تعالى حكاية لشكوى نبيه نوح (ع) : **(قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا)** (نوح٢١).
فقد ذكر الفعل كما ذكر اسم الشاكي صريحاً ولم يذكر المشتكي إليه أو منه. إلا إن السياق قد تكفل ببيان المحذوف من عناصر جملة قول الشكوى.
ويأتي هذا الأسلوب بشكل آخر غير المتقدم، اذ يذكر الفعل فضلا عن قائل الشكوى إلا إن القائل يكون ضميراً متصلاً وليس اسماً ظاهراً. وإنه يفهم من سياق الآية وهذا هو الغالب في جملة قول الشكوى في الخطاب القرآني الكريم. وذلك نحو قوله تعالى: **(قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ)** (البقرة ٢٤٩).
فقد اضمر القائل للشكوى وحذف المشتكي إليه. إلا انه مفهوم من سياق الآية إذ القائل هم جنود طالوت، (والواو في قالوا) دلت على ذلك. ولم تحدد الجهة التي أرسلت إليها الشكوى.
ونظير ذلك قوله تعالى:**(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ)** (البقرة ٦١) فقد اضمر القائل للشكوى فضلا عن حذف المشتكي إليه، وقد استغني عنه لأنه يفهم من المنادى الداخل في تركيب جملة المقول للشاكي.وهو النبي موسىυ .
ومن ذلك الأسلوب أيضاً قوله تعالى حكاية لشكوى امرأة عمران: **(فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى)** (آل عمران ٣٦).
فقد أضمر القائل للشكوى وكذلك الجهة المرسلة إليها الشكوى، ولعل ذكرهما في بداية القصة أغنى عن ذكرهما في هذا الموضع.
والنصوص القرآنية الدالة على الشكوى التي جاءت على هذا النمط كثيرة بهذا الأسلوب والشكل [٦٥].

الأسلوب الرابع:
وفيه يحذف عنصران من عناصر جملة الشكوى هما القائل والجهة المرسلة إليها الشكوى، وأكثر ما يكون ذلك في شكوى الإفصاح عما في النفس من تضرر. إلا أن هذين العنصرين قد ذكرا في سياق سابق لجملة الشكوى مما يغني عن ذكرهما في جمل الشكوى.
من ذلك قوله تعالى حكاية لشكوى النبي نوح υ:**(فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي)** (هود ٤٥).
فلم يصرح بذكر القائل للشكوى. فضلا عن ذلك استغنى عن ذكر الجهة المرسلة إليها الشكوى بمناداة الرب. مما أفاد ذلك إن الكلام موّجهٌ لله تعالى..
ونظير ذلك قوله تعالى حكاية عن النبي لوط – υ **(وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ)** (هود ٧٧) إذ استدل على القائل للشكوى وهو لوط υ من سياق الآية المتقدمة على جملة الشكوى. وهذا النوع من الشكوى هو من قبيل شكوى الإفصاح عما في النفس من تضرر، إذ لا تحدد الجهة المرسلة إليها الشكوى.

الأسلوب الخامس:
في هذا النوع من الأساليب تحذف جملة القول كلها، وتذكر جملة المقول (نص الشكوى) فقط. من ذلك قوله تعالى حكاية عن شكوى الكافرين والجاحدين لنعم الله تعالى: **(لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ)** (الواقعة ٦٥ – ٦٧)
فقد اكتفى التعبير القرآني بذكر جملة مقول الشكوى وهي (إِنَّا لَمُغْرَمُونَ. بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) ولم يصرّح بالقائل أو الجهة المرسل اليها الشكوى.
ونظير ذلك قوله تعالى حكاية لشكوى الكفار عند رؤية العذاب: (يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ) (الانبياء ٩٧)
هذه هي الأساليب التي وردت بها جملة قول الشكوى في الخطاب القرآني.

القسم الثاني: (نص الشكوى)

عند استقراء الآيات الدالة على الشكوى في الخطاب القرآني تبين أن أغلب نصوص الشكوى قد افتتحت أو تصدرها النداء.فقد وُظّف أسلوب (النداء) لغرض الشكوى.

وإن أشهر أدوات النداء وأوسعها استعمالا هي الأداة (يا) وهذا ما نلحظه متحققاً في الخطاب القرآني ولاسيّما في الآيات الدالة على الشكوى. فقد وردت ملفوظة كما في قوله تعالى:(**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ**) (البقرة ٦١) وكذلك قوله تعالى :(**قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ**) (المائدة ٢٢) وقوله تعالى: (**قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا**) (هود ٣٢) وقوله تعالى: (**قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ**) (يوسف ١١) وايضاً (**قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**) (يوسف ١٧)، وكذلك (**قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**) (يوسف ٦٣)، وكذلك (**قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ**) (يوسف ٦٥).

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: (**قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**) (يوسف ٧٨) وقوله تعالى: (**فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ**) (يوسف ٨٨) وقوله تعالى على لسان هارونυ (**قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي**) (طه ٩٤) وقوله تعالى: (**قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ**) (القصص ٩٤).

كما ورد استعمالها في النداء مجازاً في الخطاب القرآني، وذلك في مواضع كثيرة منها مناداة: الأسف[٦٦] والحسرة[٦٧] وحرف التمني ليت[٦٨]، ومناداة الويلة[٦٩]. وذلك في بابين من أبواب النداء وهما الاستغاثة والندبة.

أما سائر مواضع الشكوى القرآنية، فقد حذفت الأداة (يا) ونلحظها بصفة مطردة مع لفظة (ربّ) فقد كُثر حذف الاداة (يا) من نداء (الرب)، ولاسيّما في الآيات الدالة على الشكوى. وقد عَلل الزركشي سبب هذا الحذف بقوله: "وكثر ذلك في نداء الربِّ سبحانه، وحكمة ذلك دلالته على التعظيم والتنزيه؛ لان النداء يتشرب معنى الأمر، لأنك إذا قلت: يا زيد، فمعناه ادعوك يا زيد، فحذفت (يا) من نداء الرب ليزول معنى الأمر ويتمخض التعظيم والإجلال"[٧٠].

يقول سيبويه: "إن المنادي مختص من بين أمته لأمرك أو نهيك، أو خبرك"[٧١].

وقال ايضاً مبيناً الغرض من النداء: "وذلك أن المدعو إنما دُعي من أجل ما بعده لانه مدعو له" [٧٢].

لذا وظّف النداء في موضع الشكوى في الخطاب القرآني ليسترعي الشاكي انتباه المشتكي إليه. ومن ثم يبين له المقصد من طلبه بالاقبال، إما للاخبار، أو للسؤال أو للنهي عن أمر ما.

فضلاً عن استجلاب الاهتمام وزيادة في التضرع لاسيّما في مناداة الربّ. التي أثر استعمالها في موضع الشكوى خاصة، والدعاء عامة، دون غيرها من اسماء الله تعالى. "ولعل السر في ذلك، هو افادة هذا اللفظ حالة الانقطاع الى الله تعالى، أكثر من غيره ولذا وقع من انبيائه العظام في تلك الحالة، قال تعالى على لسان نوح υ: **(قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا)** (نوح ٥) فليس في اسمائه المقدسة، اعم نفعاً، وأكمل عنايةً ولطفاً، من اسم (الرب")[٧٣] .

هذا ما يتعلق بمفتتح الشكوى، أما فحوى الشكوى فقد جاءت في الخطاب القرآني على أساليب متنوعة. وقد صُنفت هذه الاساليب على قسمين. قسم خاص بالاسلوب الخبري، والقسم الثاني يتعلق بالاسلوب الانشائي. ذلك لان "كل ما يصدر عن الناس من كلام لايخرج عن واحد من اثنين هما الخبر والانشاء". [٧٤]

أولاً: الأسلوب الخبري

جاءت أغلب نصوص الشكوى في الخطاب القرآني بأسلوب الخبر وذلك لان الشكوى في أساسها هي رسالة يخبر الشاكي فيها المرسل إليه بأمر أضره او يتضرر منه، ثم يأتي بعدها المطلب لرفع هذا الضر أو دفعه.وقد يكتفي الشاكي بإظهار التضرر فقط كما هي الحال في شكوى التنفيس.

وقد جاء هذا الأسلوب على أربعةُ أشكالٍ

<u>الشكل الأول</u>: الجملة الاسمية.

نحو قوله تعالى على لسان إبراهيم υ: (**قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ**) (الحجر ٥٢).

وكذلك شكوى زوجه يحكيها قوله تعالى: (**وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ**) (الذاريات٢٩).

وكذلك شكوى إبراهيم υ يحكيها قوله تعالى :(**فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ**) (الصافات٨٩).

وشكوى نوح عليه السلام يحكيها قوله تعالى:(**فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ**) (القمر ١٠).

ومن ذلك أيضاً شكوى موسى υ يحكيها قوله تعالى: (**قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي**) (المائدة ٢٥).

<u>الشكل الثاني</u>: الجملة الفعلية وجميعها جاءت بصيغة الماضي.

فمن نصوص الشكوى التي جاءت على شكل جملة فعلية فعلها ماضٍ مثبت، شكوى إخوة يوسف لعزيز مصر يحكيها قوله تعالى: (**قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ**) (يوسف ٨٨).

ومن ذلك شكوى قوم نوح وقد جاءت شكواهم بصيغة الفعل الماضي وقد تصدرها حرف التحقيق (قد) وذلك في قوله تعالى :**(قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا)** (هود ٣٢).
ومن ذلك ايضاً شكوى قوم لوط يحكيها قوله تعالى:**(قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ)** (النمل ٤٧).
ومنه أيضاً شكوى أهل النار يحكيها قوله تعالى:**(قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ)** (المؤمنون ١٠٦).
كما جاءت الشكوى بصيغة الفعل الماضي المبني للمجهول، من ذلك شكوى اخوة يوسف لأبيهم في قوله تعالى:**(قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا)** (يوسف ٦٣).
أما ما جاء من نصوص الشكوى بصيغة الجملة الفعلية المنفية، فمن ذلك شكوى قوم موسى يحكيها قوله تعالى: **(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ)**(البقرة ٦١).
وعلى شاكلة ذلك شكوى الكافر يوم الحساب يحكيها قوله تعالى: **(مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ۝ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ)** (الحاقة ٢٨ – ٢٩).
الشكل الثالث: الجملة الشرطية.
وردت نصوص الشكوى القرآنية على شكل جملة شرطية وذلك في أكثر من موضع وقد تصدرتها (لو) الشرطية وهذه الأداة تفيد من ثلاث أمور: احدها الشرطية والتقيد بالزمن الماضي، والامتناع [٧٥].
يقول ابن هشام (ت ٧٦١ هـ) "فإن كل من سمع (لو فعل) فهم عدم وقوع الفعل من غير تردد" [٧٦]. وأغلب ما جاء من نصوص الشكوى على هذا الشكل، هو من نوع شكوى التنفيس
من ذلك شكوى المخلفون عن معركة أحد يحكيها قوله تعالى: **(يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا)** (ال عمران ١٥٤). والمراد " ان الرأي ليس لنا، ولو كان لنا منه شيء لسُمع من رأينا فلم يخرج فلم يقتل أحد منا" . [٧٧]
أي ان معنى كلامهم "سوء الرأي في الخروج، وأنه لو لم يخرج لم يقتل أحد" [٧٨].
ومن ذلك أيضاً شكوى اهل النار يحكيها قوله تعالى:**(وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)** (الملك ١٠).

ثانياً: جملة الشكوى بأسلوب الانشاء.
ومن الأساليب الإنشائية الطلبية وغير الطلبية التي وردت في الشكوى الخطاب القرآني هي :-
الاسلوب الأول الإنشاء ألطلبي: فقد وردت الشكوى في الخطاب القرآني بالأسلوب الطلبي وهو أسلوب الاستفهام
كما جاء في شكوى النبي صلى الله عليه وآله وسلم والذين آمنوا معه يحكيها قوله تعالى:**(مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)** (البقرة ٢١٤). "فهو استبطاء لمجيئه مع شدة البلاء". [٧٩]
ومن ذلك شكوى زوج عزيز مصر لزوجها يحكيها قوله تعالى: **(مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا)** (يوسف ٢٥). أوردت الشكوى حين لفى زوجها لدى الباب وذلك من خلال السؤال والإجابة عليه من قبلها إذ "بدأت امرأة العزيز تشكو يوسف إليه وتسأله أن يجازيه فذكرت أنه أراد بها سوءاً، وعليه ان يسجنه أو يعذبه عذاباً أليماً، لكنها لم تصرح بذلك ولا بشيء من أطراف الواقعة بل كنّت، وأتت بحكم عام عقلائي يتضمن مجازاة من قصد ذوات الجل بالفحشاء"[٨٠].
ومما جاء بأسلوب الاستفهام من نصوص الشكوى القرآنية شكوى موسى عليه السلام يحكيها قوله تعالى: **(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ)** (الصف ٥). اذ تشكى من قومه بأسلوب الاستفهام، ففي قوله: (لِمَ تُؤْذُونَنِي) "الاستفهام للإنكار، أي إنكار إن يكون للأذية سبب... وقد جاءت جملة الحال من قوله (وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ) مصادفة المحل مع الترقي في الإنكار"[٨١].
ومما ورد من نصوص الشكوى بأسلوب الاستفهام شكوى الكافر يوم القيامة لربه يحكيها قوله تعالى:**(قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا)** (طه١٢٥).
ومن ذلك أيضاً شكوى الكفار يحكيها قوله تعالى: **(وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ)** (النساء ٧٧).
والذي يلحظ مما تقدم ان الاستفهام في نصوص الشكوى كان انكاريا في جميع المواضع وليس حقيقياً.

الأسلوب الثاني الإنشاء غير الطلبي: فقد وردت الشكوى في الخطاب القرآني بأسلوب من أساليب الإنشاء غير الطلبي وهو أسلوب الذم وذلك في موضع واحد فقط وهو تشكي موسى υ من قومهم يحكيها قوله تعالى: **(قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي)** (الأعراف ١٥٠) فقد أظهر الكراهية والحزن الشديد من فعل قومه أثناء غيابه للقاء ربه، إذ عبدوا الاوثان، فكان "المعنى بئست خلافة خلفتمونيها خلافتكم" [٨٢].
نخلص من ذلك إلى القول إن هذا ما جاء من الأساليب القولية للشكوى في الخطاب القرآني فضلا عن أسلوب النداء كنداء الحسرة والأسف، والويل، والتمني التي تكون بمثابة أسلوبي الندبة والاستغاثة.والذي يبدو من التأمل فيها إن جميعها على اختلافها وتنوعها تصب في بوتقة واحدة وهي الأخبار، أي إخبار الشاكي المخاطب بأمر تضرر منه سواء كان الأمر من نفسه أم من الغير.

ولبيان الأمر أكثر نذكر المثال الآتي. فان الشاكي إذا ما أراد إظهار التحسر أو التندم على شيء فانه يستطيع التعبير عن ذلك بأكثر من أسلوب، اذ يمكن ان يعبر عنه بالاسلوب الخبري كما في قوله تعالى: (**قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ**) (المؤمنون ١٠٦).
أو يعبر عنه باسلوب الشرط. كما في قوله تعالى: (**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**)(الملك ١٠).
ويمكن ان يعبر عنه باسلوب نداء الحسرة او التمني. كما في قوله تعالى:(**قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ**) (الانبياء ١٤).
وكذلك بمنادات الحسرة كما في قوله تعالى:(**أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ**) (الزمر ٥٦).
كما يمكن أن يعبر عنه أيضاً بأسلوب النفي كما في قوله تعالى على لسان الكافر يوم القيامة:(**مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ۝ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ**)(الحاقة ٢٨-٢٩).
فكان بالإمكان أن نعدَّ كل ما تقدم من الأساليب في إظهار الحسرة والندم هو من قبيل المشترك المعنوي.على ان هذا التعدد له فوائده ومقاصده الأسلوبية، كما يذكر د. تمام حسان. إذ يقول: "إذا كان الأسلوب هو الطريقة المختارة للتعبير عن المعنى فان لاختيار هذه الطريقة دون غيرها من الطرق الموصلة الى هذا المعنى مقصداً معنياً يقصد إليه صاحب الأسلوب يجعل العنصر المختار مؤثراً اسلوبياً يشير الى قصد ما"[٨٣].فلو أن هذه الصور من التعبير جميعها كانت متساوية في الوصول إلى المعنى لأنتفت الفائدة من تعددها ولنسب إلى اللغة العربية أنها لغة مسرفة لا تعرف الاقتصاد في تصريف وسائلها.
لذا ينبغي أن تنطوي كل صورة من صور التعبير على مقصد معين يريد المتكلم أن يبلغه إلى السامع ويرجى للسامع ان يستخلصه مما قاله المتكلم. لان اللغة شراكة بينهما يفهمها كل منهما[٨٤]

الخـاتمـــة:

تناول البحث موضوعا جديدا في النصّ القرآني لم يتناوله الدارسون المعاصرون من قبل على الرغم من أهميته ، هو: الألفاظ المعبرة عن الشكوى وأساليبها في النصّ القرآني.وأهم النتائج التي توصل اليها البحث ما يأتي:

- إن دلالة الشكوى التي وردت في الخطاب القرآني هي إظهار التضرر من جراء مرض أو فقر أو حزن أو وجع من شيء تنوء به النفس الإنسانية.
- ورد فعل الشكوى صريحاً في الخطاب القرآني في موضوعين:

الأول: في قوله تعالى يحكي شكوى النبي يعقوب υ: (**قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ**)(يوسف ٨٦).
والثاني: قوله تعالى: حكاية عن المحاورة التي دارت بين المرأة ـ التي ظاهرها زوجها ـ والرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: (**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ**) (المجادلة ١).

- وُظف أسلوب (النداء) لغرض الشكوى. اذ إن أغلب نصوص الشكوى قد افتتحت أو تصدرها النداء.
- هناك نوعان من الشكوى: شكوى التظلم وشكوى التنفيس. ويراد بشكوى التظلم هو اظهار التضرر من الغير. وتكون مرسلة الى جهة محددة. أما شكوى التنفيس أو الإفصاح عما في النفس فهي إظهار التضرر من خلال البوح بمشاعر الحزن أو الخوف، أو الندم أو الحسرة الى غير ذلك من معاني التضرر.
- افتتاح أغلب نصوص الشكوى بلفظه (ربّ). مشعرة هذه اللفظة بتذلل الشاكي وخضوعه لله خالق الخلق جلّ وعلا. وافتقاره إليه في جميع أموره.
- تبين من خلال الاستقراء لنصوص الشكوى القرآنية أنها تعد من قبيل الجمل المحكية. لكونها تتصدر بلفظ القول ومشتقاته أو ما يرادفه بالمعنى ذلك لان القول هو أداة الشكوى الناطقة.
- تنوع أساليب القول للشكوى القرآنية اذ شملت الأسلوبين من الكلام الأسلوب الخبري والأسلوب الانشائي.وقد جاءت الكثرة الغالبة من النصوص بأسلوب الخبر، ذلك لكون الشكوى أساسها الاخبار.وكل ما جاء من أساليب انشائية فيها تؤول بالخبر.

الهوامش

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي ٣٨٨/٣٨.
(٢) ينظر: لسان العرب ٤٣٩/١٤(شكا).
(٣) المحكم والمحيط الأعظم ٧/ ٨٨.
(٤) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الاصفهاني ٢٦٦.
(٥) ينظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الاثير ٤٩٧/٢.
(٦) ينظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية- مصر، ٦٣٩/١.
(٧) مظاهرة أوس بن الصامت من زوجه خولة بنت تغلب فعن ابن عباس، ورد في سبب النزول " قوله وكان هذا في الجاهلية تحريما للمرآة مؤبداً.. فجاءت خولة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذكرت له ذلك، فقال لها: حُرمتِ عليه، فقالت للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ان لي صبية صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا وان ضممتهم إلي جاعوا، فقال: ما عندي في أمرك شيء، فقالت: يا رسول الله ما ذكر طلاقاً... فقال: حرمت عليه. فقالت: أشكوا إلى الله فاقتي

ووجدي. كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرمت عليه هتفت وشكت إلى الله فانزل الله هذه الآيات". التحرير والتنوير ٧/٢٨.
(٨) مجمع البيان ٣١٥/٩، وينظر: الميزان م١٩/ج١٨٥/٢٨.
(٩) التحرير والتنوير ٩/٢٨.
(١٠) العين ٤١٠/٨ .
(١١) المخصص ١٣٧/١٣ .
(١٢) ينظر الكتاب ٣٥٤/١ ، المخصص ١٣/ ١٣٧ ،و ٢/ ١٣٤ .
(١٣) المفردات في غريب القرآن ١٩
(١٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري جار الله، ١٢٥/٣ وينظر: المفاتيح الغيب التفسير الكبير ٢٢/ ١٥٧ وايضاً ٢٨ / ٢٢.
(١٥) شرح الرضي على الكافية ٨٥/٣.
(١٦) ينظر: حاشية الصبان على شرح الاشموني، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد ٣ / ٢٨٧ – ٢٨٨. والنحو الوافي ٤ /١٤٥
(١٧) النحو العربي في مواجهة العصر، الدكتور إبراهيم السامرائي ١٢٠
(١٨) المصدر السابق نفسه ١٩٢
(١٩) مفاتيح الغيب – الفخر الرازي ٢ / ٣٢٥
(*) والمراد بالنقير والقطمير متعلقات نواة التمرة. ينظر ألفاظ الكثرة والقلة، الباحثة. رسالة ماجستير ١٤٦ – ١٤٩
(٢٠) المصدر السابق الصفحة نفسها.
(٢١) المصدر السابق الصفحة نفسها.
(٢٢) ينظر: التحرير والتنوير، ٧٠/١٥.
(٢٣) ينظر: لسان العرب – دار صادر، ١٣ / ٤٧٢ – ٤٧٣، القاموس المحيط ١ / ١٢٤٢.
(٢٤) العين ٤ /١٠٤، وينظر: معجم مقاييس اللغة، احمد بن فارس ١ /١٦٢.
(٢٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، احمد بن محمد الفيومي ١ / ٣١.
(٢٦) النحو العربي في مواجهة العصر ١١٤.
(٢٧) المخصص، ١٤١/٢.
(٢٨) ينظر: مجاز القرآن ٢٧٠/١، تفسير ابن عطية ٩١/٣، تفسير البغوي ٣٩٥/٢، تفسير القرآن العزيز -لابن أبي زمنين ٢٣٥/٢ الموسوعة القرآنية ٤٢/١٠، صفوة التفاسير ص٥٢٥.
(٢٩) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن ٣٢.
(٣٠) الكليات، الكفوي ٢٠٣.
(٣١) ينظر: التحرير والتنوير ١١٤/١١، ١٢٣/١٢.
(٣٢) إسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم، الدكتور شلتاغ عبود ٢٨.
(٣٣) الكشاف ٢ / ٣١٥، وينظر: صيغ المبالغة وطرائقها في القرآن الكريم – دراسة إحصائية صرفية دلالية – كمال حسين رشيد – رسالة ماجستير ٢٠٠٥، ١٨٦
(٣٤) تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي: ٦٥٧/١١
(٣٥) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن احمد النسفي: ٧٤/٢ وينظر: أنوار التنزيل وإسرار التأويل، البيضاوي ١٤٢/٣٠، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود ألعمادي ٢٢٧/٤، وتفسير المراغي – احمد مصطفى المراغي ٦٠/١٢
(٣٦) روح البيان، المولى أبو الفداء ٥٢٢/٣
(٣٧) ينظر: العين ٢١٧/٨، الصحاح – الجواهري ٢٧٣/١، مقاييس اللغة ١٧٢/١
(٣٨) لسان العرب ١١٤/٢
(٣٩) المفردات، ٣٧.
(٤٠) الكشاف ٤٩٩/٢، وينظر: أنوار التنزيل وإسرار التأويل ١٧٤/٣، روح البيان ٣٠٧/٤.
(٤١) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين الجوزي ٤٦٥/٢، مفاتيح الغيب – التفسير الكبير ٥٠٠/١٨، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد – ابن عجيبة ٦٢٠/٢.
(٤٢) الجامع لإحكام القرآن تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢١٥/٩.
(٤٣) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الالوسي ٤٢/٧.
(٤٤) التحرير والتنوير ١٣ / ٤٥.
(٤٥) الفروق اللغوية ٢٦٧.
(٤٦) مجمع البحرين ١٥٢/١

(٤٧) ينظر: دراسات قرآنية معاصرة ٦١ - ٦٢
(٤٨) الجامع لإحكام القرآن، تفسير القرطبي ٢٤٩/٩، وينظر: مفاتيح الغيب. التفسير الكبير ٤٩٩/١٨، والتحرير والتنوير ٤٣/١٣.
(٤٩) العين ١٧٣/٦، وينظر: المخصص. ٤١/٨، أساس البلاغة، الزمخشري. ١١٩/١.
(٥٠) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٦٠٧/٢.
(٥١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ١٣٦/٣، وينظر: الكشاف ٦١١/٢، مفاتيح الغيب – التفسير الكبير ٢٢٢/٢٠.
(٥٢) التحرير والتنوير ١٧٨/١٤.
(٥٣) التفسير القرآني للقرآن – عبد الكريم يونس الخطيب ٣٠٨/٧.
(٥٤) في ظلال القرآن ٢١٧٦/٤.
(٥٥) ينظر: العين ١٨٥/٤، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٤٢٦/١، أساس البلاغة ٥٤٣/١
(٥٦) لسان العرب ٣ /٣٣.وينظر : الإفصاح في فقه اللغة ،عبد الفتاح الصعيدي وحسن يوسف موسى ص ١٠٧
(٥٧) (صريخ ومصرخ) تعد من الاضداد، جاء في (كتاب الأضداد في كلام العرب)، لأبي الطيب اللغوي: "ومن الأضداد الصـَّارخُ والصَّريخُ، قال أبو حاتم: الصريخ: المُسْتغيثُ، والصريخُ: المُغيثُ. ولم يَعْرف الصارخَ إلا بمعنى المستغيثُ" ٢٧٤.
(٥٨) الجامع لأحكام القرآن ٣٥/١٥.
(٥٩) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم – تفسير أبي السعود ٤٢/٥.
(٦٠) المصدر السابق ٥ / ٤٢-٤٣
(٦١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،ضياء الدين بن الأثير ٢٤١/٢ .
(٦٢) البيان في روائع القرآن – الدكتور تمام حسان ٢٨٨.
(٦٣) التحرير والتنوير ٣١٨/٢٢، وينظر: الصوت اللغوي في القرآن – الدكتور محمد حسين علي الصغير ص١٦٥، صيغ المبالغة وطرائقها في القرآن الكريم. كمال حسين رشيد رسالة ماجستير ٥٥.
(٦٤) الجوابات في التعبير القرآني – سعاد كريم خُشَيَّف،اطروحة دكتوراه ٢٣٦.
(٦٥) ينظر على سبيل المثال: النساء ٧٧، ٩٧، المائدة ٢٢ و ٢٣، الإنعام ٢٧ و ٣١، الأعراف ٥ و ١٢٩، يوسف ٦٣و ٦٥ و ٧٨ و٨٨، الكهف ٤٩، مريم ١٨.
(٦٦) يوسف ٨٤ .
(٦٧) المائدة ٣١ وكذلك يس ٥٧.
(٦٨) المائدة ٢٧ ، والكهف ٤٢ ، الفرقان ٢٧ ، الأحزاب ٦٦ ، الحاقة ٢٥ ، النبأ ٤٠ ، والفجر ٢٤ .
(٦٩) المائدة ٣١، هود ٧٢، الكهف ٤٩، الأنبياء ١٤ و ٤٦، الفرقان ٢٨، يس ٥٢.
(٧٠) البرهان: ٢١٥/٣، وينظر: معترك الإقران، السيوطي ٣٤٠/١.
(٧١) الكتاب ٢ / ٢٣١ – ٢٣٢.
(٧٢) المصدر السابق ٢ / ٢١٩ .
(٧٣) تفسير مواهب الرحمن، السيد عبد الاعلى الموسوي ١ /٣٤.
(٧٤) بلاغة التركيب الدكتور توفيق الفيل ١٣، وينظر: الجملة العربية والمعنى، الدكتور فاضل السامرائي ٨ – ٩،الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون ١٣.
(٧٥) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ٢٨٤/١.
(٧٦) ينظر: المصدر السابق ٢٨٤/١.
(٧٧) المحور الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥٢٨/١.
(٧٨) المصدر السابق ٥٢٨/١.
(٧٩) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ٢٤٠/١.
(٨٠) الميزان م ١١ / ج ١٢ / ١٤٤.
(٨١) التحرير والتنوير ٢٨ / ١٧٨.
(٨٢) المصدر السابق ٩ / ١١٤.
(٨٣) البيان في روائع القران،٤٨٩.
(٨٤) ينظر: المصدر السابق، ٤٨٩.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن احمد، الزمخشري جار الله (٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٥، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م.
- أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم، الدكتور شلتاغ عبود، دار المحجة البيضاء، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- الإفصاح في فقه اللغة، عبد الفتاح الصعيدي وحسن يوسف موسى، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط ١ /١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م.
- ألفاظ الكثرة والقلّة في القرآن الكريم – دراسة دلالية، ميسم عدنان عبدالرسول، رسالة ماجستير، كلية التربية – جامعة بغداد، ٢٠٠٠م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله عمر الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥هـ) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)تحقيق :محمد عبد الرحمن المرعشلي ،دار إحياء التراث العربي -بيروت ،ط ١، ١٤١٨هـ.
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس احمد بن المهدي بن عجيبة الحسني (ت١٢٢٤ه) تحقيق: احمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، ١٤١٩ هـ.
- بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني، الدكتور توفيق الفيل، مكتبة الآداب – القاهرة، ١٩٩١ م.
- البيان في روائع القرآن – دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، الدكتور تمام حسان، الناشر عالم الكتب، ط١، ١٤١٣ – ١٩٩٣
- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين، راجعه الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، ط ١-الكويت، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.
- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد).محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م.
- تفسير أبي السعود وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود ألعمادي محمد بن مصطفى (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي (ت١٤١٨هـ)،مطابع أخبار ليوم ،عدد الأجزاء ٢٠ ، (ليس على الكتاب الأصلي- المطبوع – أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيرها ، غير إن رقم الإيداع يوضح انه نشر عام ١٩٩٧م.
- تفسير الشعراوي -الخواطر، محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، مطابع إخبار اليوم، رقم الإيداع يوضح انه نشر عام ١٩٩٧م.
- تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن أبي زَمَنين (ت ٣٩٩هـ)، تحقيق:أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكتر، الناشر: الفاروق الحديثة، مصر القاهرة، ط١، ١٤٢٣ – ٢٠٠٢ م.
- تفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي - القاهرة.
- تفسير المراغي، احمد بن مصطفى المراغي (ت١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى ألبابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
- تفسير ألنسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله أحمد ألنسفي (ت٧١٠هـ) ، حققه، يوسف علي بديوي ، راجعه وقدم له، محي الدين ديب مستو ، دار الكلم الطيب – بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
- الجامع لأحكام القران – تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: احمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٩٤م.
- الجوابات في التعبير القرآني الكريم، سعاد كريم خشيف بندر، اطروحة دكتوراه، كلية التربية للبنات – جامعة بغداد، ٢٠٠٢م.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك مع شرح الشواهد للعيني، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، د. ت.
- دراسات قرآنية معاصرة، فاروق البرزنجي، دار النفائس – الأردن، دار الفجر – بغداد العراق، ط ١، ١٤٣٢-٢٠١١م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت١٢٧٠هـ). تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي (ت٥٩٧هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، منشورات قار يونس – بنغازي ط٢، ١٩٩٦م.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣ هـ)، تحقيق احمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٧٨م.
- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- الصوت اللغوي في القرآن، الدكتور محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، ط١، بيروت ٢٠٠٠م.
- صيغ المبالغة وطرائقها في القرآن الكريم – دراسة إحصائية صرفية دلالية، كمال حسين رشيد صالح، رسالة ماجستير – كلية الدراسات العليا – جامعة النجاح الوطنية – فلسطين، ٢٠٠٥م.
- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين ألشاربي (ت١٣٨٥هـ)، دار الشروق – بيروت – القاهرة، ط ١٧، ١٤١٢هـ.
- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)،تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف : محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ط٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .
- الكتاب – كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الشركة الدولية، ط ٤، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- كتاب الأضداد في كلام العرب، أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي (ت ٣٥١هـ) تحقيق :الدكتور عزة حسن ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط٢، ١٩٩٦.
- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق:الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، د.ت.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزير، أبو القاسم محمود بن احمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي أبو البقاء الحنفي (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش و محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، د.ت.
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكتوم ابن منظور، دار صادر- بيروت. د.ت.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، قدمه وعلق عليه الدكتور احمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط٢، تاريخ إيداعه بدار الكتب ١٩٧٣.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن مثنى (ت٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سركين، مكتبة الخانجي – القاهرة، ١٣٨١هـ.
- المجلة العربية والمعنى، الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار ابن حزام، ط١ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين ألطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، تحقيق السيد احمد الحسيني، ط٢، ١٤٠٨هـ.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، الإمام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، وضع حواشيه وخرّج آياته وشواهده إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ألمحاربي (ت٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، علي بن إسماعيل بن سيدة(ت ٤٥٨هـ) تحقيق محمد علي النجار، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ط ١، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- المخصص،أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الاندلسي المعروف بابن سيدة، دار الكتب العلمية، د.ت.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، احمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت نحو ٧٧٠هـ) ،المكتبة العلمية - بيروت، د.ت.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن – تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبو بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- معجم مقاييس اللغة، احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي. أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، الإمام ابن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- مفاتيح الغيب- التفسير الكبير،أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣ – ١٤٢٠هـ.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت – لبنان، د.ت
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت – لبنان، د. ت.

- مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري ، مطبعة شريعت، دار التفسير ايران ، ط ٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
- الموسوعة القرآنية، إبراهيم بن إسماعيل الابياري (ت ١٤١٤ هـ)، مؤسسة سجل العرب، ١٤٠٥هـ.
- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطبأطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- النحو العربي في مواجهة العصر، إبراهيم السامرائي، دار الجيل ـ بيروت، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- النحو الوافي – مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، عباس حسن، دار المعارف – مصر، ط٥، ١٩٧٥م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر،مجد الدين أبو السعادات بن الأثير (ت٦٠٦هـ)، تحقيق:طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.